طلائع الشباب نشروا مفاهيم الحرية .. وحشدوا الطاقات لإشعال الشرارة الملتهبة.. والبركان الثائر

المدرسة الثانوية وتعين علي عبد الكريم الفضيل مدير التحضيرية سابقاً مديراً للمدرسة الثانوية بعد الدمج وتخرج علي عبد المغني من المدرسة الثانوية في ذلك العام وكان الأول بامتياز كما هو شأنه في مراحل دراسته من مكتب الأيتام والمتوسطة والثانوية وهو الأول بامتياز كل سنة.. وأقامت وزارة المعارف حفل تخرج وألقى علي عبد المغني كلمة الخريجين واعجب الحاضرون ببلاغة كلامه وفصاحة لسانه وعند توزيع الجوائز تسلم جائزته وشهادته وأعطاه ولي العهد البدر قلمه الذهبي وأعطاه وزير المعارف الحسن بن علي ساعة يد ذهب وعينه سكرتيره الخاص بالوزارة.

وفي ١٩٥٧م فتحت الكلية الحربية باب القبول لأول دفعة باليمن تنتخب من بين طلاب المدارس العلمية والثانوية والمتوسطة وتقدم لها مجموعة من بينهم محمد مطهر زيد وهذه الدفعة هي المعروفة باسم دفعة محمد مطهر ولم يتقدم علي عبد المغني، فقد كان يأمل أن يحصل على منحة دراسية إلى الخارج ، وفي العام الثاني ١٩٥٨م فتحت الكلية الحربية باب القبول لدفعة ثانية وتقدم علي عبد المغني للالتحاق بالكلية الحربية ضمن الدفعة الثانية المعروفة الآن باسم دفعة علي عبدالمغني وتخرج وحصل على الأول بامتياز وأقامت الكلية الحربية حفل التخرج وألقى كلمة الخريجين وعند تسليم الجوائز والشهادات لأوائل الخريجين قام ولي العهد البدر بتسليم علي عبد المغني جائزته وشهادته وأعطاه قلمه الخاص وهو قلم من الذهب وهذا القلم هو الذي صاغ به علي عبد المغني أهداف الثورة اليمنية.

وبعد التخرج من الكلية الحربية التحق بمدرسة الأسلحة والتحق معه بهذه المدرسة خيرة الضباط من خريجي الحربية والطيران والشرطة منهم زميله ورفيق دربه محمد مطهر زيد، ناجي الأشول، حمود بيدر، عبد الله عبد السلام صبرة، احمد الرحومي وصالح الأشول وسعد الأشول وعلي علي الحيمي وعبده قائد الكهالي وأحمد مطهر ، زيد وأحمد الكبسي وغيرهم وعند التخرج من مدرسة الأسلحة كان علي عبد المغني الأول بامتياز والثاني محمد مطهر.

وعاش علي عبد المغني مهموماً بهم الوطن يبحث عن حريته واستقلاله وهو طالب في المدرسة الثانوية وكان يسكن في غرفة صغيرة اسماها الكوخ كان يلتقي مع المثقفين والمشائخ والعلماء والطلبة وكان يحدثهم عن عظماء الرجال في العالم وما صنعوا من معجزات وكيف حرروا شعوبهم. وينوه دائماً بظلم الإمامة في بلادنا وكان يقول: لولا الإمامة ما بقي المستعمر البريطاني في جنوب الوطن.. وفي عام ١٩٥٦م عندما تعرضت مصر للعدوان الثلاثي نظم علي عبد المغني مظاهرة طلابية مهيبة هزت عرش الإمامة وكانت أول مظاهرة وسجن في (الرادع) مع مجموعة من زملائه الطلبة ، وبعد تخرجه من الكلية الحربية ومدرسة الأسلحة بدأ مشواره للإعداد للثورة ونظم تنظيم الضباط الأحرار وتواصل مع العلماء والمثقفين والمشائخ وكل الأحرار داخل اليمن وخارجها ، وفي شهر يوليو ١٩٦٢م التقى بالزعيم جمال عبدالناصر على متن باخرة مصرية في البحر الأحمر بشرم الشيخ حيث تم سفره إلى هناك على ظهر الباخرة اليمنية مارب التي كان قبطانها الرائد محمد علي عبدالمغني وكان ركوبه عليها من المخا، وقد رتب له لهذه الزيارة محمد عبد الواحد القائم بأعمال السفارة المصرية بصنعاء حينذاك.. وحصل على وعود من الزعيم جمال عبدالناصر للدعم ونصر الثورة اليمنية ،وبعد عودته من مصر نظم مظاهرة الطلبة في كل من صنعاء وتعز والحديدة في شهرأغسطس ١٩٦٢م لأنه أدرك أن هذه المظاهرة هي الجرس الذي سيجعل جميع اليمنيين يصحون من نومهم وإذا صحا الشعب من نومه فهو القادر والمتكفل بحماية الثورة خاصة وأن هؤلاء الطلبة ينتمون إلى كل المناطق اليمنية.

وفي ليلة الثورة السبتمبرية اجتمع مع مشائخ اليمن الذين وصلوا صنعاء لمبايعة الإمام وأشركهم مع الضباط في تفجير الثورة ، وقاد الثورة ليلة السادس والعشرين من سبتمبر ١٩٦٢م بحكمة ووضع خطة الثورة بدقة وصاغ أهداف الثورة وبيانات الثورة وقد كتب أهداف الثورة باسم الجمهورية اليمنية.

وبعد أيام من قيام الثورة والجمهورية كُلف بقيادة حملة عسكرية إلى منطقة حريب في مارب لمواجهة الحشود الملكية التي بدأت تستعد لإعلان الحسن بن يحيى حميد الدين إماماً بمساعدة خارجية، وقد استشهد علي عبد المغني في هذه المعركة وكان ذلك في أكتوبر ١٩٦٢م.

ومن شهداء الثورة الشهيد علي ناصر مسعد القردعي شيخ قبلي وشاعر وأحد قادة ثورة الدستور عام ١٩٤٨م ، وقد تمكن القردعي من اغتيال الإمام يحيى حميد الدين في ١٧ فبراير ١٩٤٨م في كمين نصبه في منطقة حزيز جنوب صنعاء بطلقة نارية أردت الإمام قتيلا ، وقطع أنف القردعي خلال اشتباكه مع نمر عربي في قصة ذاع صيتها بين القبائل في اليمن.

ويعتقد أن الشيخ ولد عام ١٨٨٥م ، ولكونه ولد في بيئة قبلية بدوية فلم يتلق تعليما نظاميا للطبيعة البدوية التي كانت تسيطر على مختلف جوانب قبائل محافظة مارب بشكل عام ، ونصب علي ناصر القردعي شيخاً لمشائخ مراد عام ١٩٢٥م.

وقد اجتمع القردعي بعدد من المطالبين بالإصلاح في صنعاء كان من بينهم إبراهيم حميد الدين نجل الإمام يحيى و الذي كان معارضا لسياسة أبيه ومؤيدا لحركات الإصلاح ، وتوصل الاجتماع بضرورة التخلص من الإمام يحيى حميد الدين وطلب القردعي فتوى تبيح قتله ودعمها قبليا حتى إذا ما أراد أبناء الإمام الانتقام لا يقع الحمل كله على قبيلته مراد بل القبائل كلها ، ونصب القردعي كمينا للإمام في منطقة حزيز جنوب صنعاء حيث أحد أقطاعيات الإمام ووزع رفاقه على سفوح الجبال المحاذية لحزيز، ووضع القردعي رفاقه حجارة في الطريق , فخرج حرس الإمام من السيارة لإزالتها فأطلق رفاق القردعي النار عليهم واقتنص القردعي رأس الإمام فخر صريعاً.. وقام الإمام أحمد حميد الدين بثورة مضادة مؤيدة بدعم عدد من القبائل الموالية له استطاعت إفشال الثورة و قتل رموزها وكان منهم الشيخ علي ناصر والذي قتل في مديرية خولان هو وأصحابه وأرسل رأسه إلى الإمام أحمد في صنعاء وظل معلقا على باب اليمن قرابة الشهرين.

ومن أوائل الثوار مطيع بن عبد الله دمّاج الذي يعتبر أول الثائرين ضد الحكم الإمامي الكهنوتي في اليمن وأحد رواد التجديد الفكري المعاصر.. وقد ولد دماج في قرية النقيلين بإب عام ١٩٠٩م.

وفي عام ١٩٥٨م شُكلت اللجنة التأسيسية للأحرار في تعز التي كان المناضل مطيع دماج أحد أعضائها وشملت كلاً من عبد الغني مطهر, الشيخ قاسم حسين أبو رأس, الشيخ زيد مهفل, الشيخ مطيع بن عبد الله دمّاج, الشيخ إبراهيم حاميم, الشيخ ناشر عبدالرحمن العريقي, الشيخ حسين بن ناصر مبخوت, الملازم محمد مفرح, عبدالقادر الخطري, علي حمود الحرازي, حمود سلامة, وعبدالله ناجي.. وتوفي مطيع دماج في تعز عام ١٩٧١م.. وهو والد الكاتب الروائي اليمني الكبير زيد مطيع دماج ، والشاعر أحمد مطيع دماج.

ومن المناضلين الأبطال عبد الغني مطهر الذي كان واحداً من أبرز الثورة الذين ضحوا بحياتهم وأموالهم في سبيل تحرير اليمن من الظلم الإمامي ، وكان المخطط ورسول الثورة إلى الرئيس جمال عبد الناصر ، وفي عام ١٩٥٨م شُكلت اللجنة التأسيسية للأحرار في تعز التي كان المناضل عبدالغني مطهر أحد أعضائها ، كما كان المناضل عبدالغني مطهر على رأس تنظيم التجار الأحرار والذي ضم مناضلين من أمثال الشيخ علي محمد سعيد والشيخ عبدالقوي حاميم والأستاذ أحمد ناجي العُديني وآخرين.. وقد حصل على العديد من المناصب من أهمها عضو مجلس قيادة الثورة.. وكان أول محافظ لمدينة تعز خلال عهد الرئيس الراحل عبد الله السلال.

ومن رجال الثورة الأديب والشاعر الراحل أبو الأحرار محمد محمود الزبيري والذي ولد سنة ١٩١٠م في حي بستان السلطان بمدينة صنعاء.. وقبل نشوب الحرب العالمية الثانية انتقل إلى مصر ليتم دراسته، فالتحق بدار العلوم حصن اللغة العربية، وقبل أن يتم دراسته فيها عاد إلى اليمن عام ١٩٤٠م وكانت الأوضاع فيها متردية حيث استشرى فيها الفقر والمرض.

وقد أسس الزبيري وبعض رفاقه في القاهرة أول حركة منظمة لمعارضة الحكم الإمامي في اليمن في سبتمبر عام ١٩٤٠م تحت اسم (كتيبة الشباب اليمني) ، وفي سنة ١٩٤٢م قطع الزبيري دراسته عائدا إلى اليمن التي رأى أنها تستحق منه مجهودا كبيرا لإنقاذ البلاد من الأوضاع المتردية والمأساوية التي كانت تكتنف اليمن آنذاك تحت حكم الأئمة من أسرة حميد الدين ، وعند قدومه إلى اليمن قدم مذكرة للإمام المتوكل يحيى حميد الدين تتضمن مشروعا لإنشاء جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، كما ألقى خطبة في الجامع الكبير بصنعاء وهو ما أغضب الإمام يحيى فكان جزاؤه السجن مع عدد من شباب اليمن الأحرار في سجن الأهنوم ، حيث انصرف للصلاة وتلاوة القرآن والذكر والتأمل وكتابة الشعر.

وعند خروجه من السجن الذي ظل فيه تسعة أشهر صور الزبيري ذلك الخروج قائلا:

خرجنا من السجن شمّ الأنوف ..
كما تخرج الأسد من غابها
نمر على شفرات السيوف ..
ونأتي المنية من بابها
ستعلم أمتنا أننا .
. ركبنا المنايا حناناً بها
فإن نحن عشنا فيا طالما ..
تذل الصعاب لركابها
وإن نحن متنا فيا حبذا
.. المنايا تجيء لخطّابها

ولم يجد الزبيري بُدّا من الالتفاف حول ولي العهد أحمد نجل الإمام يحيى مع كثير من المثقفين الذين رأوا فيه أملا منقذا لهم، لكنهم سرعان ما أدركوا وَهْم ما هم فيه ، فارون إلى عدن التي كانت متنفسا للأحرار ، وفي عدن بدأت مرحلة جديدة في الكفاح والنضال حيث أسس الزبيري مع رفيق كفاحه أحمد محمد نعمان حزب الأحرار سنة ١٩٤٤م الذي تحول اسمه إلى (الجمعية اليمانية الكبرى) عام ١٩٤٦م، وأصدر صحيفة (صوت اليمن)، واستمر الكفاح حتى قيام ثورة ١٩٤٨م ، حيث قتل الإمام يحيى حميد الدين، ونصب عبد الله الوزير إماما جديدا لحكم دستوري شرعي، ولكن الثورة سرعان ما فشلت ، فغادر الزبيري اليمن وذهب إلى باكستان ، وما كاد الزبيري يسمع بقيام ثورة يوليو ١٩٥٢م بمصر إلا وقرر الرحيل إليها حيث بدأ نشاطه مع رفيقه النعمان بتجميع صفوف الطلاب اليمنيين، وامتد نشاطه إلى اليمنيين في السودان على الرغم من المضايقات التي تعرض لها من قبل النظام المصري، وكان الزبيري يلقي القصائد من خلال إذاعة صوت العرب التي كان له دور في تأسيسها، وكان لأحاديثه وقصائده دور كبير في إنقاذ الأحرار داخل المملكة المتوكلية من الإحباط واليأس وعدم إمكانية التغيير، خصوصا بعد سقوط ثورة ١٩٤٨م.. وحين قامت ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م التي أطاحت بالحكم الإمامي استدعى الضباط الثوار الزبيري فعاد الزبيري إلى صنعاء، وأعد له استقبالاً مهيباً لم تحظَ شخصية جماهيرية بمثله، وعين وزيرا للمعارف في حكومة الثورة، ثم نائبا لرئيس الوزراء وعضوا في مجلس الثورة حتى استقال عام ١٩٦٤م حيث إن التدخلات الخارجية أدخلت اليمن في حرب أهلية، فسارع الزبيري لإصلاح ذات البين بين القبائل، واشترك في مؤتمرات الصلح بين اليمنيين في كرش وعمران ، كما تولى رئاسة مؤتمر "أركويت" بالسودان عام ١٩٦٤م.

وقد تبين لأبي الأحرار أنه ينفخ في رماد، وأنه لا بد من حماية الثورة من خصومها وأصحابها على السواء، فخرج من صنعاء صبيحة إعلان حالة الطوارئ في البلاد وإعلان الأحكام العسكرية، وكان يقول بأنهم بهذه القوانين يجيزون قتله.

وصل الزبيري إلى برط، ومن هناك وجه رسالته إلى شعب اليمن ثم بدأ بدعوة القبائل إلى لمّ الشمل، وكانت دعوته عامة للملكيين والجمهوريين ، وطالته رصاصات الغدر في إحدى تنقلاته فخر شهيدا أول إبريل سنة ١٩٦٥م.

والتعليم .. حجر الزاوية

لم يكن هناك اهتمام كبير بالتعليم في عهد الحكم الإمامي البغيض حيث كان يخشى الإمام يحيى حميد الدين من التأثير الخارجي على اليمن فأسس في عهده المدرسة العلمية أو كلية دار العلوم في ١٩٢٥م في ما يعرف اليوم بميدان التحرير بصنعاء لكنها اقتصرت على ذوي المراكز الاجتماعية العليا وكانت تشبه في مستواها جامعة الأزهر في القاهرة ، وفي نفس العام أنشأ الإمام أيضا مدرسة أو مكتب دار الأيتام بصنعاء وتماثل في مستواها المدارس الابتدائية حالياً.

وفي الشطر الجنوبي من الوطن كانت بعض المدن مثل سيئون وتريم وغيل باوزير قد لعبت دوراً متميزاً في نشر العلم والمعرفة ممثلة فيما يعرف بالرباط وهو مؤسسة تعليمية للتزويد بعلوم في العقيدة والشريعة الإسلامية واللغة العربية ، أما في عدن فقد انتشر فيها التعليم الحر أو ما كان يعرف بالكتاتيب حيث يقوم بها معلمون دون خضوعها لرقابة حكومية خاصة وأن الاحتلال البريطاني كان قد عزل مدينة عدن حتى عن الحركة التعليمية واقتصر التعليم طوال فترة الاحتلال على بضعة مدارس وكليات كان أبرزها كلية أبناء المشائخ عام ١٩٣٧م وكلية عدن (ثانوية عدن حالياً) عام ١٩٥٦م.

وبالتالي فقد كانت بداية الثورة تعليمية من خلال التحصيل العلمي في المدارس المتوفرة حينها وابتعاث مجموعة من الطلاب للدراسة في الخارج وأغلبهم تلقوا تعليمهم في مصر والبعض الآخر في العراق وسوريا كما هو الحال بالنسبة للشهيد الزبيري والشهيد الثلايا وعلي عبدالمغني ومطيع دماج وغيرهم من الثوار الأبطال الذين أصروا على الدراسة والتحصيل العلمي وعادوا بحصيلة وافرة من المعرفة ليتمكنوا من خدمة وطنهم وانتشاله من براثين الجهل والتخلف والمرض والمساهمة الفاعلة في قيام الثورة الخالدة التي أنهت الحكم الإمامي البغيض والاستعمار البريطاني المستبد.

انتهج الحكم الإمامي والاستعمار السلاطيني المستبد سياسة الظلم والقهر والتعسف في محاولة منه لتحطيم الإرادة اليمنية الصلبة وتبديد الآمال التي تنشد الحرية والحياة بكرامة وعزة وتكوين مجتمع تسوده العدالة والمساواة ويحكمه النظام والقانون وليس سياسة الغاب وأمراض الأئمة والسلاطين الذين اعتقدوا أنهم يمتلكون مفاتيح الحل والعقد .. وباتت مصائر الشعوب معلقة بنزواتهم ورغباتهم المقيتة في رسم المستقبل الذي يريدونه للشعوب التي أرادوا لها الخنوع والإذلال حتى تستقيم لهم أمور الحكم .. وتكون إرادة الحاكم هي النافذة دون الأخذ بعين الاعتبار بما يعانيه الشعب في ظل سياسة التجهيل المتعمد والإقصاء القسري لهويته والمصادرة لحقه في الرأي والتعبير.

لم تنجح سياسة القمع وأنواع التعسف والاضطهاد التي اتبعها حكم آل حميد الدين والمستعمر البريطاني في كبح جماح الشعب اليمني الذي عرفه التاريخ القديم والمعاصر ينشد رسالة المحبة والسلام ويجسد الشورى في حياته الاجتماعية والسياسية فكيف به يرضى بالحكم الفردي المستبد والخنوع لإملاءات من اغتصبوا السلطة ونصبوا أنفسهم ولاة على أمور غيرهم دون وجه حق.

■ الجيل الواعد قاموا بالتوعية الشعبية .. وبثوا مفاهيم الحياة المدنية ومبادئ الدولة الحديثة

■ الشباب تصدروا الكليات العسكرية .. ودفعتي مطهر وعبدالمغني قادة العمليات الحربية

■ ملعب كرة قدم احتض إعدام الثلايا .. ومدارس الإمامة تحولت إلى منتديات شبابية ومقرات للتخطيط للثورة